فضل عشر ذي الحجة

إخوة الإيمان:

الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي يَصطَفِي مِنَ الأَيَّامِ وَالشُّهُورِ مَا يَشَاءُ وَيَختَارُ، وَيَختَصُّ مِنَ الأَزمَنَةِ بِالفَضَائِلِ ما يُرِيدُ؛ رَحمَةً مِنهُ وَتَذكِرَةً لِأُولِي الأَبصَارِ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ العَزِيزُ الغَفَّارُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ المُصطَفَى المَختَارُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ مَا تَعَاقَبَ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ،

أمّا بَعدُ: إخوة الإيمان: فإنَّ من فضل الله تعالى ونعمه الجليلة على عباده أن هيأ لهم المواسمَ العظيمة، والأيامَ الفاضلة؛ لتكون مَغنمًا للطائعين وميدانًا لتنافس المتنافسين، ومن أعظم هذه المواسمِ وأجلها ما شهد لها النبيُ صلى الله عليه وسلم بأنها أفضلُ أيام الدنيا على الإطلاق، ألا وهي أيامُ عشر ذي الحجة، ففي هذه الأيام تتضاعف الحسنات إلى ثواب المجاهدين بل ويزيد عليه،

عباد الله: نَعِيشُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ عَشْرًا مُبَارَكَةً، أَقْسَمَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ؛ تَعْظِيمًا لِقَدْرِهَا، وَإِعْلَاءً لِشَأْنِهَا؛ فالسعيدُ مَنِ اغتنَمَ مواسمَ الشهور والأيام والساعات، وتقرَّب إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تُصيبَه نفحةٌ من تلك النفحات، فيسعد سعادةً يأمن بعدَها من النار وما فيها من اللَّفحات، ويفوزَ بجنة عرضُها الأرضُ والسمواتُ،

عباد الله: تَعرَّضوا لأسباب رحمة الله ومغفرتِه، واعملوا كل سببٍ يُوصلكم إلى رضوانه، ويُنيلُكم فضلَه العظيم، ويُقربُكم مِن جنَّته، ويُباعدُكم عن ناره، فإنَّ رحمةَ الله قريبٌ مِن المُحسنين، هنيئاً لِمَن استَغَلَّ الأَوقَاتَ، وَازدَادَ فِي مَوَاسِمِ الخَيرِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَتَعَرَّضَ فِيهَا لِنَفَحَاتِ الرَّحَمَاتِ، فَاللَّيلُ وَالنَّهَارُ لَا يَنتَظِرَانِ، بَل يَتَعَاقَبَانِ وَلَا يُفتَرَانِ، وَالعُمُرُ أَمَانَةٌ سَيُسأَلُ العَبدُ عَنهَا يَومَ القِيَامَةِ،

عباد الله: لقد تفرّد الله سبحانه وتعالى بالخلق والاختيار، قال تعالى: وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون(القصص) ومن رحمته بالعباد أن فاضل بين الأمكنة والأزمنة، فاختار منها أوقاتاً خصّها بمزيد الفضل وزيادة في الأجر؛ ليكون ذلك أدعى لشحذ الهمم، وتجديد العزائم، والمسابقة في الخيرات والتعرض للنفحات، ومن هذه الأزمنة الفاضلة أيام عشر ذي الحجة التي اختصها الله بعدد من الفضائل والخصائص، وإن اليوم هو اليوم الأول من عشر ذي الحجة، والأيام العشر من ذي الحجة موسم من مواسم الطاعات والخيرات، فيها يتنافس المتنافسون، ويتسابق إليها المتسابقون، حتى عُدت هذه الأيام من أفضل أيام الدنيا؛ لما تضمنته من فضائل، فهي خيرُ الأيام وأفضلُها وأجلّها وأعظمُها، شرَّف الله جلّ وعلا قدرَها وأعلا شأنَها وعظّم من مكانتها فأقسم بها عزّ شأنه في كتابه بقوله: وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: هي العشر الأوَل من شهر ذي الحجّة، وعلل بعض أهل العلم الحكمة في كون عشر ذي الحجة أفضل أيام الدنيا لأن أمهات الأعمال الصالحة والعبادات تجتمع فيها ولا تجتمع في غيرها، فهي أيام الكمال، ففيها الصلوات كما في غيرها، وفيها الصدقة لمن حال عليه الحول فيها، وفيها الصوم لمن أراد التطوع ، وفيها الحج إلى البيت الحرام ولا يكون في غيرها، وفيها الذكر والتلبية والدعاء الذي يدل على التوحيد، وفِيهَا: يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَيَوْمُ التَّرْوِيَةِ، واجتماعُ هذه العبادات فيها شرف لها لا يضاهيها فيه غيرها ولا يساويها سواها، وقد اختلف العلماء أيُّ العَشرين أفضل؛؟ العشر الأول من شهر ذي الحجة؟ أو العشر الأخر من شهر رمضان المبارك؟

والتّحقيق في ذلك في قول جماعة من المحققين من أهل العلم: أنّ العشر الأيام الأوّل من شهر ذي الحجة هي خير أيام السنة على الإطلاق، والعشر الليالي الآخِر من شهر رمضان هي خير ليالي السنة على الإطلاق؛ وفي الليالي الأخيرة من شهر رمضان ليلة القدر خير الليالي، وفي العشر الأوَل من شهر ذي الحجة يوم عرفة سيّد الأيام وخيرها،

عباد الله: تذكَّروا أنَّكم اليومَ قد دَخلتُم في أيَّامٍ جلية فاضلة، ودخلنا موسماً مُباركاً عظيماً وميداناً للطّاعة جسيما ينبغي على المسلم أن يعظِّم أمره وأن يُعلي شأنه وأن يحافظ عليه تمام المحافظة وأن لا يجعل أيامه المباركات وساعاته الثمينات تمضي سُدى أو تضيع هباء فيندم بعدئذ ولا ينفعه التدم، ولذلك حث نبيّنا صلى الله عليه وسلم على العمل الصالح في هذه العشر الأول من شهر ذي الحجة، وبيَّن عظيم ثواب ذلك عند الله وعظيم أجره عنده سبحانه، ففي صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي الْعَشْرِ الأول من ذي الحجة قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، وقد دَلَّ هذا الحديثُ النَّبويُّ على عِظَمِ شأنِ أيّام العشرِ عند الله سبحانه، كما دَلَّ الحديثُ أيضًا على: أنَّ التَّقرُّبَ إلى الله بالأعمال الصالحة في أيّام العشرِ أحَبُّ إليه سبحانه مِن التَّقرُّبِ إليه في سائر أيّام الدنيا، فيُسن للمسلم أن يصوم تسع ذي الحجة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حث على العمل الصالح في أيام العشر، والصيام من أفضل الأعمال، وقد اصطفاه الله تعالى لنفسه كما في الحديث القدسي: قال الله: كل عمل بني آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به[أخرجه البخاري]وقال الإمام النووي عن صوم أيام التسعة: إنه مستحب استحبابًا شديدًا، وخاصة يوم التاسع، وحث فيها على العمل الصالح، وأنه صلى الله عليه وسلم أمَر فيها بكثرة التسبيح والتحميد والتكبير، كما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد [أخرجه احمد وصحّح إسناده أحمد شاكر]

وكان سعيد بن جبير رحمه الله: إذا دخلت العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يُقدَرُ عليه[رواه الدارمي رحمه الله]أيها المسلمون: إنَّ مِن جُملةِ العبادات التي يَجْدُرُ أنْ نَهتمَّ بِها أيَّامَ العشرِ شديدًا، ونَتزوَّدَ مِنها كثيرًا، ونُسارِعَ إليها حثيثًا،

أولًا: صيام الأيَّامِ التِّسعَةِ الأُوَلِ مِنها، فصيامها مُستَحبٌّ عند الأئمة الأربعة، وغيرهم مِن أهل العلم، وكان صيامُها مشهورًا عند السّلف الصالح مِن الصحابة، والتابعين، فَمَن بعدَهم ومن أجل ذلك كان العلماء والفضلاء يتنافسون في أعمال البر والإحسان، ومما يشرع في عشر ذي الحجة: الإمساك عن الأخذ من الشعَر والأظافر لمن نوى أن يضحي، جاء في صحيح مسلم عن نبيّنا عليه الصلاة والسلام أنه قال: إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ، وفي رواية: إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلاَ يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا، أي مَنْ أراد أن يُضحّي فعليه إذا دخلت العشر أن لا يأخذ من شعره ولا من أظافره شيئاً، وهذا حكم خاص بمن أراد أن يضحي أما أهلُه وأولاده ومن يضحي عنهم فإنه لا يشملهم ذلكم الحكم، و قد قال العلماء في الحكمة من ذلك أن المضحي عندما شارك الحجاجَ في بعض أعمال الحجّ أمره الله سبحانه بمشاركتهم في شيء من محظورات الإحرام ليبقى المسلمون - حجاجاً وغير حجاج - على صلةٍ بالله معظمّين لشعائر الله قائمين بطاعة الله جلّ وعلا يرجون جميعُهم رحمة الله ويخافون عذابه، والله جلّ وعلا يقول: ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج]

قال أبو عثمان النهدي: كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم.

خطبة الجمعة ليوم 07 يونيو 2024 م